محاضرة الأدب الاسلامي

اغراض شعرية قديمة ومتطورة(المديح)

قسم اللغة العربية / المرحلة الثانية

كلية التربية القائم / جامعة الأنبار

اغراض شعرية قديمة متطورة

اذا جاز لنا ان نسمي شعر الدعوة والجهاد وشعر الفتوحات الاسلامية اغراضا شعرية جديدة فرضت معانيها على الشعراء ليعبروا من خلالها عن واقع جديد فان هناك اغراضا تقليدية عرفت قبل الاسلام واستمر القول فيها قرونا طويلة امتدت حتى عصرنا هذا لالشيء الا لانها اغراض متعلقة بجوانب النفس الانسانية ومافيها من رغبة ونوازع مختلفة من حب ووفاء وكره وحكمة او تأمل ... يعبر عنها الانسان بوسائل مختلفة ، واساليب متنوعة في كل زمان ومكان فكانت في الشعر العربي خاصة اغراض المديح والهجاء والرثاء والغزل اغراضا واسعة جديدة قديمة تقليدية ومتطورة في الوقت نفسه وسنحاول ان نتتبع هذه الاغراض لامن حيث معانيها التقليدية وانما من حيث تتبع المعاني الجديدة والافكار التي فرضها ظهور الاسلام بكونه ديناً ونظاماً للمجتمع العربي بأكمله وسنجد ان تطورا كبيرا صاحب هذه الاغراض من حيث معانيها واخيلتها الكثيرة التي بدت متأثرة بالاسلام وبما ورد في القرآن الكريم من معان وصور وأخيلة . مما يدلنا على ان اثر القرآن في الادب لم يكن محصورا في الاغراض الجديدة او المعاني المستحدثة وانما تجاوزها الى الاغراض التقليدية سواء في المفردات اللغوية المستعملة او المعاني التي اكدها الشعراء . وهذا امر طبيعي ينسجم مع طبيعة المجتمع العربي الذي اصابه تطور جذري كبير وجد في افكار الناس وسلوكهم فجرى باللغة الشعرية ان ينالها جزء من هذا التطور يتمثل بدخول المعاني الاسلامية الجديدة الى صور الشعراء وبروز الفاظ جديدة ماعرفتها العربية قبل ظهور الاسلام بدلالتها المستعملة في القرآن الكريم كالفاظ الجهاد والثواب ، والصوم والصلاة والزكاة(٣٥٥) الى غير ذلك من مفردات وصور سترد في ثنايا عرض معاني الاغراض الشعرية . وسنحاول ان نختم كل غرض من هذه الاغراض بمتابعة سريعة لما ورد في اشعار العصر الاموي لتكون الدراسة شاملة العصرين في الفقرة الواحدة . من خلال قصيدة شاعر يبرز سمات العصر او الغرض الذي قال فيه.

---

(٣٥٥) ينظر تفصيل هذا في كتاب : اثر القرآن ، د . ابتسام مرهون .

١ ـ المديح

لقد مر بنا توجيه الرسول (ﷺ) للشعراء لتكون اشعارهم غير منافية لمباديء الدين والاخلاق ان لم تكن مدافعة عن الدعوة واعية لها فكل ماوافق الحق فهو حَسن ، ويندرج ضمن الحق كل شعر انساني تغنى به الشعراء بالمثل والاخلاق العليا بغض النظر عن زمن قائله او مكانته ونجد في الحديث الشريف مايبين مكانة الشعر الجيد الهادف «الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به في بواديها وتسل به الضغائن من بينها»(٣٥٦) والمديح احد وسائل والمديح عن حياة البدوي ، كما انه وسيلة خيرة اذا احسن استخدامه لترقيق النفوس وتهذيبها واصلاح ذات البين بين ابناء القبيلة الواحدة او القبائل المتنافرة فمديح الشاعر غير التكسبي يكون وسيلة جادة لرفع الضغائن والاحقاد ويدخل ضمن هذا مديح زهير بن ابي سلمى لهرم بن سنان وتمجيده للدور الانساني اذي قام به هذا الممدوح في حقن دماء قبيلتين طال امد تحاربها وقتالها . واعجاب الخليفة عمر بهذا الشاعر لايتجاوز الاعجاب بدوافع القول الصادقة لديه فزهير لايقول حق في حالة اخذه عطاء من هرم المهم انه خلد مآثر الخير التي قام بها هرم وخلد دوره الانساني في محاولته السلمية المشهورة . وبذا يكون المديح اذا صدقت نوايا الشاعر المادح وسيلة لتمجيد الاخلاق العليا والمثل القويمة التي يرتضيها المجتمع، وبذا نجد هذا الغرض مستمرا في عصر صدر الاسلام خارجا عن نطاق المديح الشخصي او التكسبي الى المديح الذي يجعل من الممدوح اطارا لقضية عامة وصفاته توكيدا لمبادئ يدعو اليها الممدوح ويحاول الشاعر في تثبيتها واشهارها.

ويدخل في هذا الاطار كل الشعر الذي قيل في مديح الرسول (ﷺ) فهو ليس مديحا لشخص الرسول (ﷺ) وذاته قدر ماهو مديح لمكانته ونبوته وتوكيدا للرسالة السماوية التي بعث لنشرها بين الناس ولهذا اعجب الرسول (ﷺ) بقول الشاعر:

فثبت الله ماأعطاك من حسن

تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا(٣٥٧)

---

(٣٥٦) العمدة ٢٨/١

(٣٥٧) ديوان عبد الله بن رواحة /١٩٤

لانه دعا له في اطار النبوة التي جاء بها الرسول الكريم ان يثبته الله على اعدائه كما ثبت النبي عيسى ونصره على اعدائه، فالله سبحانه وتعالى هو مرسل الانبياء وهو مثبت اقدامهم على مايدعون إليه من عبادة التوحيد، واذا كانت معاني الشعر في المديح قد اصابها التطور مما اضفاه عليها الاسلام من معان جديدة فان المديح بكونه وسيلة من وسائل التعبير عن نفس الشاعر او قبيلته بقي حاملا هذه الرسالة. لقد قضى الرسول (ﷺ) حاجة شاعر هي في الواقع حاجة قبيلته وقضيتها حين نجح شاعر في عرض وساطته واثارة مشاعر المودة والعطف في نفس الرسول الكريم فاستثار عطفه على اسرى قبيلة هوازن بعد معركة حنين بشعر رقيق يستدر عفوه ورحمته فيذكر الرسول (ﷺ) بان مرضعته عن بني سعد من هوازن، وانها واخواتها ينتظرن عفوه عن قومهن فيعفو الرسول (ﷺ) عن الاسرى ويحتذي المسلمون حذوه بأن يردوا الغنائم التي غنموها في هذه المعركة الى اهلها.

ان حفظ الاشعار التي تتغنى بالخلق القويم يقوم النفس ويهذبها ووجدنا مثل هذا التوجيه الذي يدعو الى تربية النشئ في مقولة الخليفة عمر (رضي) «اروا من الشعر اعفه ومن الحديث احسنه ومن النسب ماتواصلون عليه وتعرفون به ، فرب رحم مجهولة قد عرفت ومحاسن الشعر تدل على مكارم الاخلاق وتنهى عن مساويها»(٣٥٨) ونحن نعرف ان المديح اوسع اغراض الشعر العربي ماخلا منه عصر وقلما خلا منه ديوان واذا كان هناك تغيير في هذا الغرض التقليدي في صدر الاسلام فاننا نراه متمثلا في التوجيه العام الذي وجه اليه الشعراء بالالتزام في اشعارهم فكان المديح جزءا من هذا الشعر الملتزم وماعاد مديحا شخصيا قدر ماهو مديح لقضية الدعوة ومديح الرسول (ﷺ) اعلاء لقيم الرسالة السماوية ، واذا كانت منها ظل سائدا في المجتمع العربي الاسلامي انطلاقا من قول الرسول (ﷺ) بعثت لأتمم مكارم الاخلاق» ومكارم الاخلاق التي ارتضاها العربي قبل الاسلام ظلت معظمها ـ مما لايعارض مباديء الاسلام ـ سائدة في المجتمع العربي مضافا اليها قيم جديدة هي مما اضفاه الدين الاسلامي على خلق العربي من سمات دينية كالتقوى ، والايمان الصادق والعدل بين الرعية واداء الفرائض ومالى ذلك من الصفات العليا التي حرص الشعراء المادحون على اضفائها على مدوحيهم ليكسوهم سمات الشخصية المثلى التي تتوافر فيها صفات الخلق العربي القويم وخلق الشخصية الملتزمة بالدين والاخلاق ونجد هذا

---

(٣٥٨) انظر العمدة ٥٦/١ جمهرة اشعار العرب ٣٦، الاسلام والشعر ٦٢

النفس الجديد في المديح منذ فترة مبكرة من عصر صدر الاسلام حين آمن المسلمون وقرنوا اعجابهم بالنبي محمد (ﷺ) ونبوته وبرسالته التي تنير لهم طريق الهدى . فالطفيل بن عمرو السدوسي يقول بعد ان هددته قريش لاسلامه معلنا ايمانه مادحا الرسول (ﷺ) بانه رحمة للناس :

الا ابلغ لديك بني لؤي
على الشنان والغضب المرد
بان الله رب الناس فرد
تعالى جده عن كل جد
وان محمداً عبد رسول
دليل هدى وموضح كل رشد(٣٥٩)

والملاحظ هنا ان تغييرا سريعا طرأ في لغة الشاعر اذ استعمل لفظ (عبد) وماتحمله من دلالة الذلة والهوان في عصر ماقبل الاسلام ليطلقها على مديح الرسول (ﷺ) لانها حملت معاني انسانية بعيدة عن معناها السابق اذ لاعبودية الا لله سبحانه وتعالى ويستوى في ذلك البشر جميعا فمحمد (ﷺ) عبدالله ورسوله .

ونجد هذه المعاني الجديدة كثيرة في شعر حسان بن ثابت معددا صفات النبي (ﷺ) فهو خاتم الانبياء ، كرمه الله تعالى بالنبوة وقرن اسمه الى اسمه حين جعل تمام ايمان المسلمين شهادة لااله الا الله وان محمدا رسول الله ، وانه بعثه هاديا لهذه الامة فانذر الناس من مغبة الكفر وخوفهم النار ورغبهم بالايمان وبشرهم بالجنة وهكذا يتحول مديح الرسول (ﷺ) بيانا لمبادئ الاسلام التي جاء بها الممدوح وهو النبي عليه الصلاة والسلام :-

اغر عليه للنبوة خاتم
من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه
اذ قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد

(٣٥٩) حسن الصحابة في اشعار الصحابة ٣٩٣/١ .

نبي اتانا بعد يأس وفترة
من الرسل والاوثان في الارض تعبد

فأمس سراجا مستنيرا وهاديا
يلوح كما لاح الصقيل المهند

وانذرنا نارا وبشر جنة
وعلمنا الاسلام فالله نحمد(٣٦٠)

ولحسان قصيدة اخرى لم ترو في ديوانه يمدح بها الرسول (ﷺ) جامعا فيها الاخلاق التي وردت في اماديح شعراء ماقبل الاسلام مع القيم الاسلامية الجديدة لالشيء الا لان هذه القيم انسانية اقرها الاسلام والمجتمع الاسلامي وبقيت مثلا عليا ، فالرسول الكريم موضع ثقة يعتمد عليه في الملمات ، وهو ملاذ الخائفين والمحتاجين يحافظ على الجار اذا جاوره ، كريم يفيض جوده كفيض البحر ، بعد هذه الصفات الخلقية التقليدية يضيف معاني اسلامية في مديحه فهو (ﷺ) المصطفى الذي اختاره الله تعالى لاداء رسالة الاسلام وهيأ له من الملائكة ميكائيل وجبريل لينصراه في الحرب مع المشركين يقول :

ياركن معتمد وعصمة لائذ
وملاذ منتجع وجار مجاور

يامن تخيره الاله لخلقه
فحباه بالخلق الكريم الطاهر

انت النبي وخير عصبة آدم
يامن يجود كفيض بحر زاخر

ميكال معك وجبرئيل كلاهما
مدد لنصرك من عزيز قادر(٣٦١)

---

(٣٦٠) ديوان حسان ٩٧ .

(٣٦١) شعر الدعوة ٢٥٣ من الاصابة ٢٦٤/١

وهكذا نجد كثيرا من القصائد والمقطوعات التي قيلت في عهد الرسول (ﷺ) يمدح فيها الشاعر الرسول مدحا بعيدا عن المديح الشخصي الذي يتناول ذات الممدوح ليجعله فوق غيره الى جعل فكرة المديح جزءا لايتجزأ من الدعوة الاسلامية التي جاء بها فمدح الرسول (ﷺ) هو جزء من شعر الدعوة الاسلامية في هذه الحالة ، وهو جزء من اعلان الشعراء التزامهم بالعقيدة الاسلامية والدين الاسلامي ولانعدم هذا الاسلوب في مديح اشخاص آخرين غير النبي (ﷺ) او حتى في مديح قبائل او جماعات معينة فكعب بن زهير يمتدح الانصار مديحا بعيدا عن القبلية او الاغراض الشخصية التي كنا نعهدها في مديح قبل الاسلام بل هو يمتدحهم من منطلق اسلامي اذ دافعوا عن الرسول الكريم وتبنوا نصرة الدين الاسلامي ، وسلوكهم اليومي مصداق لأسمهم فهم الانصار الذين نصروا الله ورسوله وحياتهم كلها صدق ونسك وتقرب الى الله بقتل الكفار والمشركين :

من سره كرم الحياة فلا يزل
في مقنب من صالحي الانصار
الذائدين الناس عن اديانهم
بالمشرفي وبالقنا الخطار
والباذلين نفوسهم لنبيهم
يوم الهياج وقبة الجبار
يتطهرون كأنه نسك لهم
بدماء من علقوا من الكفار(٣٦٢)

ويستمر هذا الاسلوب في مديح الخلفاء الراشدين اذ تبقى قيم المديح ملازمة لشخصية الخليفة الممثل للدين الاسلامي او بالاحرى الحاكم الذي اختاره المسلمون بسبب توافر مقاييس وقيم اسلامية ، فلا عجب ان نجد ابا محجن الثقفي يستقي من القرآن الكريم وصفا لابي بكر الصديق ليتخذه مادة لمديحه ، فقد وردت آية كريمة تصف هجرة الرسول (ﷺ) من مكة الى المدينة مع ابي بكر (اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا)(٣٦٣) يستقي ابو محجن من هذه الاية وصف الصاحب ليمدح ابا بكر بعناصر اسلامية فهو صديق لانه صدق دعوة الرسول (ﷺ)

(٣٦٢) ديوان كعب بن زهير ٢٥-٣٥ .

(٣٦٣) سورة التوبة ٩/٤٠

وهو الصاحب لانه صاحب الرسول عليه الصلاة والسلام في هجرته المباركة :

وسميت صديقا وكل مهاجر ... سواك يسمى باسمه غير منكر

سبقت الى الاسلام والله شاهد ... وكنت جليسا بالعريش المشهر

وبالغار اذ سميت خلا وصاحبا ... وكنت رفيقا للنبي المطهر

وهذا حجر بن عدي احد اصحاب الامام على صحابي ناصره ولازمه في حروبه ، وعرف حقيقة المواقف السياسية التي جوبه بها الامام على ايام خلافته فيدعو الله ان ينصره لانه تقي مؤمن صادق في دعوته وعقيدته ، وهو مديح اسلامي يمثل بداية المديح السياسي :

ياربنا سلم لنا عليا
سلم لنا المهديا
المؤمن المسترشد المرضيا
واجعله هادي امة مهديا
واحفظه ربي حفظك النبيا
فأنه كان لنا وليا

ويقول في رجز آخر :

هذا علي والهدى حقا معه
يارب فاحفظه ولاتضيعه
فانه يخشاك ربي فارفعه
ومن اراد عيبه فضعضعه
او كاده بالبغي منك فاقمعه(٣٦٤)

(٣٦٤) وقعة صفين ٤٣٢١ ، شعر الدعوة ١٥٢-١٥٣ .

واذا كانت هذه النماذج المرتبطة بشخصية الخلفاء الراشدين تبدو موافقة متشية مع ماعرفوا به من ورع وتقوى وتدين ، فان نهجها يستمر فيما بعد في جميع مدائح الشعراء في العصر الاموي على اختلاف الممدوحين خلفاء او امراء او ولاة او اشخاصا عاديين بغض النظر عن صدق الصفات الاسلامية التي يصفون بها الممدوح او كذبها ، كل ماهنالك اننا نجد الشعراء يستغلون هذه المعاني الاسلامية ليضفوها على ممدوحيهم لعلمهم بانها تشكل المثل الاعلى في نظر الممدوح من جهة والمجتمع من جهة اخرى .

ولابد ان نشير الى القيم الخلقية العربية القديمة التي اقرها الاسلام وردت ايضا في اشعار الشعراء المسلمين مقترنة بصفات المؤمن الصالح ... اما الشعراء الذين قيل عنهم بانهم لم يتأثروا باسلوب القرآن الكريم او مبادئ الاسلام ، فأننا لانعدم وجود قيم اسلامية في مديحهم للسبب السابق الذي ذكرناه وهو كون هذه الصفات قيما جديدة تضفى على مدائحهم قوة نابعة من نظرة المجتمع اليها فالحطيئة مع ماعرف به من سلوك اقرب مايكون الى حياته الاولى قبل الاسلام نجد في بعض اشعاره الاسلامية هذه المعاني الجديدة التي اشرنا اليها ، فهو يشكو حاجته وفقره للخليفة عمر بن الخطاب فيسميه ملكا (وتلك بقايا روح ماقبل الاسلام) ويذكره الحساب ويوم القيامة وان ابناءه في جوع مستمر حتى يوم المحشر(٣٦٥) وفي قصيدته الرائية المشهورة يمدح الخليفة عمر ويستعطفه فيصفه بالامين الذي اختاره الله للبشر :

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ
زغب الحواصل لاماء ولاشجر
غيبت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله ياعمر
انت الامين الذي من بعد صاحبه
القت اليه مقاليد النهى البشر(٣٦٦)

---

(٣٦٥) مرت الابيات في مبحث الحطيئة

(٣٦٦) راجع عن الحطيئة مقال الوجه الاخر للحطيئة - مجلة الاستاذ - العدد الاول لسنة ١٣٩٨/١٩٧٨ جامعة بغداد

ومع ان الحطيئة كان يمدح لاجل العطاء كما يهجو لاجل الكسب وتخويف المهجوين من لذع هجائه ، فان له بعض الاشارات التي تبين تأثره بالاسلام ومبادئه فيما يخص العطاء الذي يحصل عليه بسبب المديح فهو يقول مشيرا الى ان العطاء والرزق من الله تعالى :

سيرى اما فان المال يجمعه

سيب الاله واقبالي وادباري(٣٦٧)

واذا كانت هذه المعاني الاسلامية القليلة الواردة في اشعاره لاتشكل وجها ناصعا لاسلام الحطيئة ، فهي بكل تأكيد ترسم بعض الملامح الاسلامية التي بدأت تسري الى نفسه وتؤثر في بعض معانيه ، وفي ديوانه قصيدة يمدح بها ابا موسى الاشعري مديحا اسلاميا بعيدا عن المديح الشخصي الذي يتراءى لنا من خلال قصائد المديح عنده وذلك ان الحطيئة - يذكر ابن سلام(٣٦٨) - دعي الى ان يكتب اسمه فين يغزو مع ابي موسى الاشعري فلم يفعل حتى اذا فرغ ابو موسى من تسجيل اسماء المتطوعين نزعت نفس الحطيئة الى الانخراط الى هذا الجيش فقدم على ابي موسى يسأله ان يسجل اسمه فاخبره الاخير ان العدة قد تمت ، ومع ماأشير من احتمال وضع هذه القصيدة على الحطيئة(٣٦٩) فان اسلوبها يوافق اسلوبه الشعري والذي يهمنا فيها هو عناصر المديح التي اوردها الحطيئة فيها فهي عناصر ذات ابعاد اسلامية غير محددة بشخصية الممدوح انما نجد الممدوح جزءاً من صورة كبيرة هي الجيش الاسلامي المتوجه نحو الجهاد ، حيث الايمان الخالص بالله والرغبة في طلب الاجر والثواب في الانخراط بجيش المجاهدين الفاتحين فالحطيئة في هذه القصيدة لايعدد صفات الممدوح كما فعل في قصائده التقليدية الجاهلية ولايصفه بالفروسية او الشجاعة او الكرم كما يفعل المداح بل يكتفي بالاشارة الى ان الممدوح اذا اراد غزو الاعداء لاتثنيه عن ذلك امرأة مهما بلغت من الجمال والالق .. لان جيشه مسلح بالعقيدة والايمان ، ونفوس المقاتلين تهفو وترنو الى الجنة وثوابها يقول :

اذا قادها للحرب يوما تتابعت

الوف على آثارهن الوف

---

(٣٦٧) نفسه .

(٣٦٨) طبقات فحول الشعراء : ٢٥١

(٣٦٩) ديوان الحطيئة : ٢٢٤

اثـــابت الى جنـــات عـــدن نفـوسهم -

ومـــابعـدهـــا للصـــالحين حتـوف(٣٧٠)

ونجد هذه القيم المادحة التي دخلت الى فن المديح بحكم سيادة الاسلام ومبادئه نجدها تستمر عند شعراء العصر الاموي حيث استقر الحكم على اساس الوراثة وليس على اساس الانتخاب او الاختيار كما كان الحال في العصر الراشدي نقول ان الشعراء حاولوا ان يضفوا على ممدوحيهم كل القيم الصالحة في نظر المجتمع المسلم فالفرزدق مثلا يمدح سليمان بن عبدالملك بان الله بعثه عدلا ورحمة للناس كما بعث الله من قبل النبي محمداً (ﷺ) رحمة للامة :

جعلت لاهـل الارض أمنـــاً ورحمـــة

وبرءا لاثـــــار الجروح الكـــوالم

كما بعث اللـــــه النبي محمـــــدا

على فترة والنـــاس مثـل البهـائم(٣٧١)

ويبحث جرير عن قيمة اسلامية جديدة ليضفيها على ممدوحيه فيذكر بان همه وغايته ان يطلب رضا الله لذلك تراه يعدل في الرعية ليلقي ثواب الله يوم القيامة :

تطيع الله مجتهدا لترضى

وتذكر في رعيتك المعادا(٣٧٢)

ويرى شوقي ضيف ان شعراء بني امية حاولوا ان يضفوا على ممدوحيهم فكرة الجبرية وهي ان لارأي للناس في اختيارهم بل ان خلافتهم جبر وقدر على المسلمين وبذا يشيعون بين الناس مذهبا لفرقة كلامية لتستفيد منها في تثبيت حق ملكها بين الناس فيقول (فكانوا يتعمدون الاحتكام اليه (الجبرية) في تقرير خلافة بني امية ، اما عن عقيدة ثابتة ، واما من اجل ارضائهم وفي كل مكان في شعر جرير والفرزدق نجد اللجوء الى الجبر في تقرير خلافة الامويين ، وان الله كتب ذلك ولامفر منه ، ولاتبديل لكلماته يقول جرير :

---

(٣٧٠) الديوان : ٦١ وانظر الوجه الاخر للحطيئة ص ١٢٠ فما بعدها

(٣٧١) ديوان الفرزدق ٨٥٢/٢ وانظر ايضا ٢١٥/١ انساب الاشراف ٣٧٥/٥ ، ديوان عمر بن ابي ربيعة : ٢٢٢

(٣٧٢) ديوان جرير : ١٢٠ وانظر ايضا ديوان جميل بثينة / ٣١

نال الخلافة اذ كانت له قدرا

كما اتى ربه موسى على قدر(٣٧٣)

واذا كان ادخال هذه القيم الجديدة في المديح يمثل عنصرا من عناصر التجديد فان هناك عناصر اخرى قيلت في موضوع المديح ولكن من وجهة نظر مخالفة . فاذا كان المداح يقصدون الحصول على جوائز الممدوح وعطائه ، فان هناك شعراء دعوا الى رفض فكرة تأمل العطاء عن طريق المدح لان رزق الانسان غير موكول بعطاء او رضى شخص انما لكل انسان حظه من الرزق في السماء وان الله هو الذي يقدر ارزاق العباد فلم يذلون وجوههم بمدح الممدوحين :

يقول ابو الاسود الدولي :

فـــان مقـــادر الرحمن تجري

بـــارزاق الرجـــال من السماء

مقـــدرة بقبض او ببســـط

وعجـــز المرء اسبـــاب البـــلاء(٣٧٤)

ويقول في ابيات اخرى بان الانسان اذا اراد ان يطلب امرا فيجب الا يسأل العباد عنه انما يسأل سيد العباد وهو الله :

واذا طلبت من الخلائق حـاجـة

فـادع الالـه واحسن الاعـمـالا

فليعطينـك مـا أراد بقـدرة

فهـو اللطيف لمـا اراد فعـالا(٣٧٥)

---

(٣٧٣) التطور والتجديد في الشعر الاموي : ٧٩

(٣٧٤) ديوان ابي الأسود : ٨٠

(٣٧٥) نفسه ١٢٣

ويوضح الطرماح هذه الفكرة وهو من شعراء الخوارج - مخاطبا الفرزدق حين رآه ينشد مديحا والناس حوله :

ايهـــا المـــادح العبـــاد ليعطي
ان للـــه مـــا بـــأيـــدي العبـــاد
فـــاســـأل اللـــه مـــاطلبت اليهم
وارج فضـــل المقسم العـــواد(٣٧٦)

ان رفض التكسب بالمال لانه اذلال لنفس صاحبه والدعوة الى توكيد كون الرزق من الله تعالى فكرة ما دخلت فن المديح الا بسبب المعتقد الاسلامي واذا لم يكتب لهذه الدعوة الشيوع فان وجودها بحد ذاته يمثل نقطة تحول في نظرة الشاعر او المجتمع الى المديح التكسبي .

وهكذا نجد تطور معاني المديح واختلاف نظرة الشعراء اليه باختلاف مواقفهم من الممدوح مع استمرار عناصر اخرى تمثل استمراراً لقيم يوافق عليها المجتمع الاسلامي .

(٣٧٦) شعر الخوارج : ٢٠